٣- سيدنا إبراهيم عليه السلام
خليل الرحمن

وصف رب العزة سيدنا إبراهيم عليه السلام بالعديد من الصفات العظيمة التى جعلته بالفعل أمة وحده !. وجاء في مقدمة هذه الصفات قول رب العالمين في سورة النساء ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا ﴾.. فيا لها من صفة عظيمة تليق بالخالق الكريم وتليق بخُلق عبده الحليم إبراهيم عليه السلام.

ولقد حفل القرآن الكريم بالعشرات من الصفات الحميدة الأخرى التى وصف بها رب العزة خليله إبراهيم عليه السلام.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم : ٣٧].

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٠].

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥].

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤١].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١].

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ٨٣ ، ٨٤]

ليس هذا فقط. بل كرم رب العزة إبراهيم عليه السلام.. بأن ذكره في آيات كثيرة أخرى حفل بها القرآن الكريم في سور عديدة وهى سور : البقرة - آل عمران -

الأنعام - التوبة - الحجر - مريم - الأنبياء - الحج - الشعراء - النمل - العنكبوت - الصافات - الزخرف - والذاريات وغيرها.

بل وأكثر من ذلك فقد أنزل اللّه تعالى على قلب نبيه محمد - عليه الصلاة والسلام - سورة كاملة تحمل اسم هذا النبى الكريم وهى « سورة إبراهيم ».

وكذلك فقد اهتم المفسرون كثيرًا بهذه الشخصية العظيمة في العديد من المؤلفات.. بل واهتم بها أيضًا المؤرخون والرواة من كُتاب قصص الأنبياء وسير الرسل والأنبياء.

ولسوف تظل هذه الشخصية الكريمة محط أنظار وأقلام المفكرين إلى قيام الساعة ، نظرًا لأنها شخصية بُنيت عليها أهم رسائل السماء وهى اليهودية والمسيحية والإسلام ، حيث إن كل رُسل هذه الديانات من صلب إبراهيم عليه السلام ، بل ومن أحفاده المباشرين حيث أخذ اللّه من ذريته النبوة والكتاب.

ورغم أن القرآن الكريم لم يتدخل كثيرًا في ذكر التفاصيل المرتبطة بحياة إبراهيم عليه السلام ونسبه ، إلا بالقدر الذي يخدم السبب في الحديث عن هذه التفاصيل، وما يخدم رسالته ودوره الإيمانى الذى جعله عرضة للإيذاء من قومه ، فقد اجتهد المفسرون كثيرًا في الحديث عن هذه التفاصيل.. وأشاروا من خلالها إلى حياته وأطوارها ونسبه وتاريخ أسرته.. وأشياء كثيرة أخرى.

كما تحدثوا بإسهاب كبير وتوسع شامل عما لقيه هذا النبى الكريم من ابتلاءات عديدة ، استطعنا حصرها ، في ثلاثة ، هى : أن اللّه قد ابتلاه في والده الذي كفر برسالته ! ، ووقف منه ومن رسالة السماء موقف المعاند المؤيد للكافرين.. كذلك ابتلاه رب العالمين في نفسه عندما ألقوه فى النار ، وأخيرًا ابتلى إبراهيم عليه السلام في ولده إسماعيل ، عندما أمره اللّه بأن يذبحه.

ومن فضل اللّه ومن رحمته ، أن خرج إبراهيم عليه السلام من هذه الابتلاءات غانمًا

شاكرًا فضل ربه ، ولنا في هذا النبى الكريم أسوة حسنة ، سواء فيما روى عن قصة حياته مع قومه أو مع البلايا المتعددة التى اختبر بها وهى التى سوف نشير إليها فى هذه الأوراق.

ولقد رأينا من قبل الوقوف تفصيلا على أحداث هذه الابتلاءات ، ضرورة الاقتراب ولو لمسافات قريبة من حياة ونشأته ونسبه لأجل اكتمال الفائدة.

ويحضرنى في هذا المقام قول الأستاذ أحمد بهجت في كتابه عن أنبياء اللَّه: « نحن أمام بشر جاء ربه بقلب سليم.. إنسان لم يكد اللَّه يقول له ﴿ أسلم ﴾ حتى قال: ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ ، نبى هو أول من سمانا المسلمين.. نبى أثمرت دعوته المستجابة عن بعث محمد بن عبد اللَّه ﷺ ».

وأما عن مولده ونشأته ونسبه عليه السلام.. فقد قال عنه العلامة المسلم أبوإسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى : إن العلماء اختلفوا في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم : كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا ، وقال بعضهم : كان مولده بالوركاء ناحية حدود كسلر ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان فيه نمروذ من ناحية كوثا ، وقال بعضهم كان مولده بحران ، ولكن أبوه نقله إلى أرض بابل ، وقال عامة السلف من أهل العلم : ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان ، وكان بين الطوفان وبين مولد إبراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وسبع وثلاثين سنة.. ونمروذ الذي ولد في ملكه إبراهيم هو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كورش بن حام بن نوح[1].

ورغم هذا الخلاف إلا أن شيخ الإسلام الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر يميل كثيرًا لما ذكره ابن كثير في تفسيره عن أصل ونسب ومولد إبراهيم

---

(١) المصدر السابق.

عليه السلام.. ولذلك فقد نقل عنه قوله في كتابه «البداية والنهاية» هو إبراهيم بن تارح، ابن ناحور، بن ساروغ، بن راعو، بن نافع، بن عابر.. بن سام، بن نوح عليه السلام وكانت المدة بين إبراهيم ونوح - عليهما السلام - تزيد على ثلاثة آلاف سنة. وولد إبراهيم بأرض بابل بالعراق.. ولما كان عمر والده تارح خمسًا وسبعين سنة، ولد له إبراهيم عليه السلام وناحور وهاران، وولد لهاران «لوط» عليه السلام.. وعندهم أن إبراهيم هو الأوسط، وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التى ولد بها، وهى أرض الكلدانيين، يعنون أرض بابل، وهذا هو الصحيح المشهور عن أهل السير والتواريخ والأخبار خلافًا لمن قال إن إبراهيم ولد بغوطة دمشق[1].

ثم هاجر إبراهيم مع أبيه من أرض الكلدانيين إلى أرض كنعان، وهى بلاد بيت المقدس والجزيرة والشام، فنزلوا حران، وهناك تزوج بسارة ابنة ملك حران، وكان أهلها يعبدون الكواكب.

ويؤكد الدكتور سيد طنطاوى أنه يبدو أن إبراهيم عليه السلام قد عاد مرة أخرى إلى أرض بابل التى كان أهلها يعبدون الأصنام، وهناك جرى ما جرى بينه وبين ملكها وأهلها من محاورات ومجادلات خلال دعوته لهم إلى إخلاص العبادة لله الواحد القهار.

ثم رجع مرة أخرى إلى بلاد الشام ومعه ابن أخيه لوط عليه السلام، ثم رحل بعد ذلك إلى مصر، بعدما اشتد القحط والغلاء في بلاد الشام، وبعد أن أقام هو وزوجه في مصر ما شاء الله له أن يقيم بها عاد إلى فلسطين.

وعلى أية حال، فإن التحديد الدقيق للأماكن التى ولد بها بعض الأنبياء والرسل غير متوافر.. خاصة في العالم القديم الذي لم تكن له ملامح واضحة من حيث الحدود الجغرافية المتعارف عليها الآن، وكذلك أسماء هذه المناطق التى

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

نشأت فى ظل تجمعات بشرية غير مستقرة إلا فيما كان فقط حول الأنهار والوديان ، ولذلك فإننا نقول فى ظل عدم وجود هذا التحديد الدقيق إن الخلاف بين العلماء فى مكان ولادة إبراهيم عليه السلام وأماكن نشأته ، أمر وارد جدًا ٠٠ وإن كنا نميل كثيرًا إلى الرأى الذى يقول إن رسالته - عليه السلام - قد تأرجحت فى أماكن منطقة الفرات وما حولها من أماكن اقتربت كثيرًا من أرض الشام وفلسطين٠

ومما يؤكد لدينا هذا التأييد فى الرأى السابق هو اقتراب هذه الأماكن حدوديًا الآن من منطقة الحجاز خاصة مكة والمدينة - حيث استقر ابنه إسماعيل عليه السلام ، ومن ذريته الخالصة خرج نبى الإسلام العظيم محمد - عليه الصلاة والسلام-٠

وإذا كان العلماء والمؤرخون والمفسرون قد اختلفوا حول مكان ميلاد إبراهيم عليه السلام ٠٠ فقد اختلفوا كذلك فى تسمية أبيه وهل كان اسمه تارح كما جاء في كتب التوراة والإنجيل ونقله كثيرون من مؤرخى الإسلام ؟!٠ أم أن اسمه آزر كما جاء بالقرآن الكريم٠

وللدكتور رشدى البدراوى رأى وجيه في هذا الخلاف نود الإشارة إليه من قبل أن نعيش أهم حالات الابتلاء في حياة إبراهيم عليه السلام ، ذلك لأننا نعتبر أن ما جاء بقصة حياة هذا النبى الخليل٠٠ إنما تعد جزءًا أصيلاً من حكايته مع الابتلاء الذي بدأ بأبيه وانتهى بابنه مرورًا به شخصيا !٠

ومما قاله الدكتور البدراوى في هذه الخصوصية : إن آزر هو والده حقا وكان له اسمان ، يدعى تارح أحيانًا ، وأحيانًا يدعى آزر٠٠ وفى تفسيره لذلك قال : إن الرواة الذين يؤيدون هذا الرأى إنما قاسوه على أن نبينا - عليه الصلاة والسلام - اسمه محمد ، واسمه أيضًا المصطفى والقاسم ، وبذلك يحتمل أن اسم والد إبراهيم

عليه السلام هو تارح ويسمى أيضًا آزر، أى القوى « أو المعين من المؤازرة » وقال فريق من المفسرين : إن « آزر» هو اسم صنم كان يعبده تارح والد إبراهيم عليه السلام وكان سادنا له ، وكذلك أشار الدكتور البدراوى في هذا الشأن إلى ما ذكره الأستاذ رؤوف أبو سعدة عن أصل اسم والد إبراهيم عليه السلام.. فقال : إن آزر هى الترجمة العربية الصحيحة لاسم تارح العبرى.

الابتلاء في الأب

أشار القرآن الكريم في عدد من السور والآيات الكريمة إلى موقف والد إبراهيم عليه السلام من دعوته إلى اللّه.. ومطالبة أبيه وقومه بضرورة نبذ عبادة الأصنام.. كما أشار أيضًا إلى ذلك العناد الكبير الذي صدر من والد إبراهيم عليه السلام تجاه دعوته إلى اللّه ، ففى سورة الأنعام قال رب العالمين : **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾** [الأنعام : ٧٤].

وفى سورة مريم : **﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا۞ يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا۞ يَاأَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا۞ يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِن الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾** [مريم: ٤١ - ٤٥].

وفى سورة الأنبياء : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾** [الأنبياء : ٥١ ، ٥٢].

وفى سورة الشعراء : **﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ۞** [الشعراء : ٦٩ - ٧٠].

وفى سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾

[الصافات : ٨٣ - ٨٦]

والمتأمل بقلب فيه إيمان المصطفين الأخيار، وعقل عابد يمعن النظر فيما أنزل اللَّه من أحاديث.. يكتشف بسهولة أن الآيات السابقة ، قد صورت لنا بكل دقة مأساة إبراهيم عليه السلام مع والده.. عندما اكتشف بعدما هداه اللَّه لنور الإيمان.. أن ذلك الأب هو من طائفة الكافرين الذين يعبدون الأصنام ، وكم أصابت هذه المفاجأة قلب وعقل إبراهيم عليه السلام ، الذي شعر أنه قد دخل في أولى معاركه مع الابتلاء ، رغم اختياره من جانب الرحمن لكى يتبوأ منزلة الخليل ، ويا لها من منزلة لم يفز بها من قبل أحد غيره من الأنبياء والرسل أو من بعده إلى يوم القيامة.

ولقد تقبل إبراهيم عليه السلام هذا الابتلاء بصبر وجهد.. ولم يجزع رغم أنه يرى أباه الذي رباه سوف يدخل النار مع الكافرين.

ولأنه من المرسلين الأخيار.. فقد عرف فداحة هذا المصير الذي يتهدد أباه.. ولأنه من الأولاد الذين تربوا على مائدة الرحمن.. فقد حزن كثيرًا لهذا الموقف المعاند من والده ! ، وهو لذلك لم يعجز وسيلة من الوسائل لكى يقنع بها هذا الأب الكافر على أمل أن يتخلى عن عناده ويؤمن باللَّه العظيم ويترك عبادة الأصنام !.

ومن حكمة القرآن الكريم أن نقل إلينا نص المحاورات الهادفة التى كانت بين إبراهيم عليه السلام وبين أبيه آزر، هذا الابن البار لم يتخل عن مشكلة أبيه أو ابتلاء اللَّه به ، بل بذل كل ما في وسعه من أجل أن يعظه ويبصره بالطريق القويم.

وفى تصورنا أنه لولا تسلط الشيطان على نفس وعقل آزر أبى إبراهيم

عليه السلام ، لأسلم وجهه لله امتثالاً لأوامر رب العالمين التى حملها إليه ابنه إبراهيم عليه السلام.

ويرى بعض المؤرخين وأنا من المؤيدين لما توصلوا إليه أن ابتلاء إبراهيم عليه السلام في والده.. كان مساويًا تقريبًا لابتلاء نوح عليه السلام في ابنه وفى امرأته.

بل وأكثر من ذلك قالوا : إن ابتلاء إبراهيم عليه السلام بكفر والده وعناده ووقوفه في صفوف الكافرين ، كان البداية القوية لذلك الابتلاء العظيم الذي ابتُلى به إبراهيم عليه السلام في نفسه ثم في ولده إسماعيل.

ولنفسح المجال بعض الشيء لكى نقف بالتفاصيل على ظروف ابتلاء إبراهيم عليه السلام في أبيه آزر.. هذه التفاصيل تحدثت عنها كتب قصص الأنبياء والسير العطرة.. وبعض كتب التاريخ..

ومما قيل في هذا السياق: إن آزر والد إبراهيم عليه السلام كان من صناع التماثيل التى كان يعبدها قومه.. ولقد خاف إذا ما آمن برسالة ابنه أن تبور تجارته !.. وقد ذكر عبد الحميد جودة السحار أن ملك بابل أرسل في طلب والد إبراهيم ليصنع تمثالاً للإله مردوخ كبير الآلهة ، وأن جده ناحور كان من أبرع من تعلم فن التنجيم.. وكبر إبراهيم عليه السلام حيث عاش في كنف والده الذي كان يصنع هذه التماثيل التى كان يعبدها قومه !. وكانت تماثيل من خشب وحجارة على هيئة إنسان إلا أن أذنيه كبيرتان ويحمل السلاح المقدس ويربض تحت قدميه وحش !.

وهكذا عايش إبراهيم عليه السلام كما يقول الدكتور رشدى البدراوى مراحل صنع هذه التماثيل ، ورأى كيف أنه أحيانًا ينشق الخشب وينكسر التمثال فيلقى به والده جانبًا وقد يستعمله كوقود للنار! ، ولعله تعجب من هذه التماثيل التى لا تملك أن تدفع عن نفسها شيئًا.. وكيف يرجوها الناس أن تلبى لهم طلباتهم وكيف يركعون ويسجدون لها ؟ !.

ولما بلغ إبراهيم عليه السلام رشده.. وأسلم وجهه لله.. ومن قبل أن يحمل رسالة رب العالمين لقومه من عبدة الأصنام ، أخذ يدعو أهله لنبذ هذه العبادات ، وكان في مقدمة هؤلاء بطبيعة الحال والده آزر.

ولقد بين لنا القرآن الكريم تفاصيل تلك المحاورات التى دارت بين إبراهيم عليه السلام بعدما عرف بابتلائه في أبيه الذي يعبد الأصنام ، وكانت بداية تلك المحاورات في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤].

والمعنى كما فسره الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوى : قوله اذكر أيها العاقل لتعتبر وتتعظ ، وقت أن قال إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر منكرًا عليه عبادة الأصنام : أتتخذ أصنامًا آلهة تعبدها من دون اللَّه الذي خلقك وخلق كل شيء ؟ !.

وتتوالى فيوضات القرآن الكريم فيما يخص تفاصيل هذه المحاورات بالأسلوب الذي تميز به القرآن الكريم من حيث عمق المعنى وبساطته حيث يواصل إبراهيم عليه السلام توجيه كلماته لأبيه أو عمه كما قال بذلك بعض المفسرين ومنهم الشيخ الشعراوى.. فيقول القرآن الكريم : ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا۞ يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِن الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا۞ يَاأَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا۞ يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِن الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾[مريم: ٤٢-٤٥]

والمعنى أن إبراهيم عليه السلام لما فوجئ بكفر والده.. وعصيانه للَّه تعالى.. وبعدما عرف كرسول وكنبى نتيجة هذا العصيان أخذ يستعطف والده ألا يسير في طريق الشيطان ، ذلك لأنه بات يعرف أكثر منه ومن قومه نتائج هذا العصيان الذي يقف وراءه بقوة الشيطان وأعوانه !. حيث جاءه من العلم النافع الذى علمه

اللَّه إياه ما لم يأت أباه أو قومه ، هذا العلم الذى عرفه إبراهيم عليه السلام ارتبط بمعرفته بأغراض الشيطان الذي أمر قومه وأباه بعبادة الأصنام من دون اللَّه.

ولقد اختتم إبراهيم عليه السلام هذه المحاورة بقوله : يا أبت إنى أخاف وأشفق عليك من أن ينزل بك عذاب من الرحمن بسبب إصرارك على عبادة غيره ، فتصير بذلك قرينًا للشيطان في العذاب بالنار يوم القيامة !.

ويؤكد الدكتور محمد سيد طنطاوى أنه بهذا الأسلوب الحكيم الهادئ الرقيق خاطب إبراهيم عليه السلام أباه وهو يدعوه إلى وحدانية اللَّه.. ورغم ذلك وقف أبوه موقف المعاند من دعوته الصادقة مما أكد الحزن والغم في داخل نفس وعقل إبراهيم عليه السلام ، خاصة بعدما وجه إليه أبوه هذه العبارة منهيا بها هذه المحاورة : إذا لم تتوقف عن دعوتك هذه فسوف أرجمك ، سأقتلك ضربًا بالحجارة وهذا جزاء من يقف ضد الآلهة ، اخرج من بيتى.. لا أريد أن أراك.. اخرج[1]..

ورغم إحساس إبراهيم عليه السلام بالمرارة تجاه موقف والده المعاند فقد صبر على هذا الابتلاء.. آخذًا في دعاء اللَّه أن يهدى والده للإيمان.. ولقد تجلى ذلك فيما قاله إبراهيم عليه السلام لأبيه : يا أبت لك منى السلام الذي لا يخالطه جدال وأذى ، ولك منى الوداع الذي أقابل معه إساءتك إلى بالإحسان ، وفضلاً عن كل ذلك : سأستغفر لك ربى. إنه كان بى حفيا.

ولقد وفى إبراهيم عليه السلام بوعده تجاه أبيه ، إذ استمر في استغفاره لأبيه ، إلى أن تبين له أنه عدو لله تعالى.. فتبرأ منه. هذا التبرؤ كان نهاية لاستسلام إبراهيم عليه السلام لإرادة اللَّه فيما ابتلاه إياه في كفر أبيه.

وقد قرر بعد ذلك اعتزال أبيه وقومه والابتعاد عنهم ، بل والتصدى لآلهتهم وتحطيمها ، والاستعانة باللَّه وبقوته لأجل أن يتم عليه نعمته فيما هو مقدم عليه من كفاح عظيم ضد هؤلاء القوم الكافرين.

---

(١) أنبياء اللَّه. أحمد بهجت ، مصدر سابق.

وقد كان.. إذ واجه إبراهيم عليه السلام هؤلاء القوم ودعواهم الباطلة ولم ترهبه حتى نيرانهم التى هددوا بإلقائه فيها إذا لم يبتعد ويرجع إلى عبادة آلهتهم مرة أخرى.. وكان ذلك هو الابتلاء الثانى في حياة نبى اللَّه إبراهيم عليه السلام.. ولما صبر على البلاء الأول حين اعتزل أباه وقومه.. جزاه اللَّه خيرًا..

وعن ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** ﴾ [مريم: ٤٩].

الابتلاء في النفس

يعتبر الخليل إبراهيم عليه السلام.. من أوائل الأنبياء والرسل الذين ابتلوا بلاء شديدًا في النفس، وذلك حين اجتمع قومه ومن بينهم أبوه أو عمه وكل أهله وعشيرته من الكافرين في حلقه كبيرة حول أكبر محرقة عرفها الإنسان منذ خُلق وحتى الآن، انتظارًا للقضاء عليه وقتله مكويًّا بنار الحقيقة التى أخذ يدعو لها.

ولقد نقل إلينا حجة الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود صورة حية لتلك المحرقة التى أعدت للقضاء على إبراهيم عليه السلام، فقال: عندما حطم الأصنام تبعًا لأمر اللَّه، فأتى به قومه على أعين الناس ليحاكموه وليشهد الناس محاكمته فجادلهم وسخر منهم، فما كان منهم إلا أن قالوا: ﴿ **حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ** ﴾.

لقد استقر الأمر على إلقائه في النار ليموت حرقًا.. كما روى القرآن عنهم أنهم قالوا أيضًا: ﴿ **ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ** ﴾ [الصافات: ٩٧].

ويضيف الدكتور عبد الحليم محمود فيما يخص تفاصيل هذه المحرقة بقوله: ما من شك في أن التفاصيل التى يذكرها من كتبوا عن القصة لا يستند كثير منها إلى أصل موثوق به، ولكن لا بأس من أن نذكر بعضًا من هذه التفاصيل، ولسوف

نشعر نحن أيضًا بهول هذا الابتلاء حين نقف معًا على هذه التفاصيل ، ولولا فضل من اللَّه ورحمة على عبده وخليله إبراهيم عليه السلام لقضى عليه فعلاً في هذا الابتلاء العظيم.

ولقد أثبت هذا النبى أنه بالفعل جدير بهذه المنزلة التى منحها اللَّه إياه بأن اختاره خليله.. إذ لم يطلب النجاة من أحد حتى من الأمين جبريل عليه السلام ، بل طلب رحمة اللَّه الواسعة والتى أدركته فورًا.. حين قال اللَّه تعالى للنار: ﴿ **يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾..

وأما عن التفاصيل التى ذكر جزءًا منها حجة الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود فتقول : حينما اجتمع الملأ الذين كفروا من قوم إبراهيم وعلى رأسهم النمروذ ، وأصدروا الحكم أخذوا يهيئون وسيلة التنفيذ ، فحبسوه في بيت وبنوا بنيانا بقرية يقال لها « كوش » ثم جمعوا -كما يقول الشيخ الصاوى- أصلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر ، حتى كان الرجل يمرض فيقول : لو عوفيت لأجمعن حطبًا لإبراهيم ، وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها إحتسابًا في دينها ! ! ، وكان الرجل يوصى بشراء الحطب وإلقائه في المكان الذي ستشعل فيه النار».

فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب نارًا فاشتعلت النار واشتدت حتى أنه كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فلما أرادوا أن يلقوه فيها أعيتهم الحيل في كيفية إلقائه فصنع لهم رجل من الأكراد يسمى « هيزن » منجنيقًا فعمدوا إلى إبراهيم فأخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول حسبما رواه العالم المدقق الإمام ابن كثير: « لا إله إلا أنت سبحانك ، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ».

وأما الإمام البخارى فيروى بسنده عن ابن عباس أنه قال - أى إبراهيم - : « حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ».

وأضاف الرواة على ما ذكره الإمام الدكتور عبد الحليم محمود فقالوا : إنه لما قذفوا إبراهيم في النار بالمنجنيق.. استقبله جبريل عليه السلام فقال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، قال جبريل : فاسال ربك ، فقال إبراهيم عليه السلام : حسبى من سؤالى علمه بحالى.. حسبى اللَّه ونعم الوكيل ، فقال اللَّه عز وجل : ﴿يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقال السدى : كان جبريل عليه السلام هو الذي ناداه بأمر اللَّه تعالى.. وقال على ابن أبى طالب رضي الله عنه وابن عباس : لو لم يقل سلامًا لمات إبراهيم من بردها ، ولم يبق حينئذ نار في الأرض إلا أطفئت.

وهكذا لم تحرق النار إلا وثاق إبراهيم عليه السلام ، وقيل أكثر من ذلك : إن إبراهيم عليه السلام مكث داخل هذه المحرقة وتحت رعاية اللَّه سبحانه وتعالى سبعة أيام ، لم ينعم إبراهيم منها عيشًا كالأيام التى كان بها في النار! ، كما قيل أيضًا : إن إبراهيم ظل في النار أيامًا حتى خمدت ، ولم يصبه منها شيء غير العرق على وجهه ، ولما انطفأت هذه النار الموحشة فوجئ قومه به يخرج من هذه المحرقة سالمًا ، وذلك مصداقًا لقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وفى تعليق عظيم لإمام الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود أشار فيه إلى قوة تحمل هذا النبى لهذا الابتلاء الكبير فقال : وهذه الصورة لإبراهيم هى حقا صورة الرجل الذي ألقى بقياده تاما كاملاً إلى اللَّه سبحانه.. إنه الرجل الذي ينفذ ما يؤمر به من غير تردد ولا فتور.. وينتهى عما ينهى عنه في تصميم وعزم ، ولا يسأل غير اللَّه أحدًا بل إن ثقته بعلم اللَّه الكامل المطلق الشامل تمنعه من السؤال ، واللَّه سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسى : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ».

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام.. وما جزاء إبراهيم عليه السلام حين صبر على إيذاء قومه ، وقبوله هذا الابتلاء بقوة وعزيمة وإيمان.

إن المفسرين على حد قول الدكتور عبد الحليم محمود قد أرادوا أن يشرحوا إكرام الله له في هذا الموقف فقالوا : إن الملائكة تلقته تحمله في رفق حتى وضعته على الأرض فإذا عين ماء عذب وإذا ورد أحمر وإذا نرجس يحيط به ، وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة.. كما أتاه بأريكة يجلس عليها ، وألبسه القميص وأجلسه على الأريكة وجلس معه يحدثه ويؤنسه ويقول له فيما يقول : يا إبراهيم إن ربك يقول لك : أما علمت أن النار لا تضر أحبابى.

ويمكث إبراهيم في النار بضعة أيام ، ويتحدث المفسرون أيضًا عن شعوره فيخبرون عنه أنه قال : ما كنت أيامًا قط أنعم من الأيام التى كنت في النار.

ولا شك أن حادثة إبراهيم وابتلاءه في نفسه ونجاته من النار لم تمر دون أن تترك أثرًا كبيرًا بين أهل الأصنام من قومه.. حيث رأى الناس أن رب إبراهيم حفظ إبراهيم وأن آلهتهم لم تتمكن من حماية نفسها فضلاً عن حماية غيرها.. ولذلك فلابد أن العقيدة في أنفسهم قد تزلزلت ولابد أن يكون البناء الإيمانى في هذه البقعة قد غير اتجاهه وأخذ يستشرف إلى الوضع الصحيح.

إذن.. المكافأة الكبيرة هذه المرة كانت قد أثرت وأسفرت عن قوم بادروا إلى الإيمان.. حين رأوا هذه المعجزة التي خرج منها إبراهيم عليه السلام سالمًا معافىً ، بل وساهمت هذه المعجزة التى ارتبطت بابتلاء إبراهيم عليه السلام في توسيع دائرة الإيمان بالله سبحانه وتعالى.. وذلك حين هاجر من بلاد قومه إلى بلاد أخرى سعيًا وراء الدعوة إلى الله تعالى ، ووحدانيته.

ونفهم من ذلك أن الصبر على الابتلاء سواء في النفس أو في المال أو فى الأولاد.. إنما يثمر ثمرات متنوعة المذاق والحجم.. وكلها ثمرات عظيمة يجنيها

الإنسان من وراء صبره على الابتلاء.. ولنا في رسولنا الكريم إبراهيم عليه السلام أبى الأنبياء أسوة حسنة.. إذ آتاه الله الخير كله بعدما صبر وشكر وتحمل الابتلاء في نفسه.

الابتلاء فى الولد

ويستمر مسلسل الابتلاء في حياة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.. وهو صابر محتسب عند ربه، قانتًا آناء الليل وأطراف النهار، يدعو الله بأن يفرج عنه كربه وبلاءه.

والابتلاء في حياة هذا النبى هذه المرة كان أشد قسوة وقوة، فقد اختبره رب العالمين في أعز ما لديه من أولاد. ذلك الطفل الحليم الذي رزق به وهو في أخريات أيامه.. وكان قد بلغ آنذاك من عمره عتيا.

ويا له من ابتلاء كان في ظاهره القسوة وفى باطنة الرحمة.. إذ رأى إبراهيم الخليل عليه السلام في منامه أنه لابد وأن يذبح ابنه الوحيد إسماعيل.. واستجابة لهذا النداء ولهذه الرؤيا، أخذ ابنه متجهًا به إلى جبل عرفات لكى يقضى عليه ذبحًا!.. وكاد أن يقع ذلك على يد هذا النبى الكريم لولا أن تداركته رحمة الله في الوقت المناسب.

وقصة الذبيح إسماعيل عليه السلام قد ملأت كل كتب السيرة، وأيضًا كتب التاريخ لما فيها ولها من دلالات عظيمة، ورغم ذلك فقد اختلف المفسرون والرواة في تناول تفاصيلها وأهدافها ونتائجها.. ولكنهم عندما تحدثوا عن إبراهيم عليه السلام ودوره في هذه القصة أجمعوا على صبره على هذا الابتلاء وقوة تحمله له، وهو في هذه السن المتقدمة من عمره!.

ونحن هنا بدورنا نعيد الإشارة إليها.. لخدمة الأهداف فوق هذه الأوراق

التى تسعى لبيان قوة تحمل وصبر صفوة خلق اللّه من الأنبياء والرسل على الشدائد والبلايا..

وجميعنا يجب أن يتصور.. كيف حال إبراهيم عليه السلام وهو يقتاد فلذة كبده لكى يذبحه بيديه ! ، ولكى نكون منصفين في الحديث عن ابتلاء إبراهيم عليه السلام في ولده الوحيد إسماعيل ، كان لابد لنا من القول بأن هذا الابتلاء في حقيقة الأمر لم يبدأ من الرؤيا التى رآها إبراهيم عليه السلام في منامه والتى حدثنا عنها القرآن الكريم.. بل ، لقد بدأ هذا الابتلاء منذ صدور الأوامر التى تلقاها هذا النبى الأمين من رب العالمين ، بالذهاب بامرأته وولده الرضيع إلى أرض مكة. الصحراوية الخالية من الماء والزرع.. ولقد فعل ذلك راضيًا بقضاء اللّه وقدره ، وبأنه على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم..

ولقد تجلت قوة صبر وجلد واستسلام إبراهيم عليه السلام لقضاء السماء بلا ضجر أو مناقشة ، عندما عاد راجعًا إلى بلاد الشام تاركًا زوجه هاجر وابنها الرضيع إسماعيل هناك.. في تلك الصحراء القاحلة.

وحتى عندما سألته زوجه : وهل أمرك ربك بذلك ؟. أجابها. نعم.. فما كان منها إلا أن قالت : إذن فاذهب فلن يضيعنا اللّه أبدا.. ولذلك فنحن نقول : إن ابتلاء إبراهيم عليه السلام في ولده ، قد مر بمرحلتين كل منهما كانت أشد من الأخرى.. فإذا كنا قد تصورنا حال هذا النبى من قبل حين أتاه أمر السماء بذبح ولده الوحيد آنذاك.. فما بالنا إذا ما تصورنا كذلك حالته النفسية ، وذلك حين صدر له نفس الأمر السماوى بضرورة أن يهاجر بزوجه وبابنه إلى أرض صحراوية لم يكن بها ماء ولا حياة ؟ !..

ولكن نتبين الحكمة والموعظة من ابتلاء إبراهيم عليه السلام في ابنه مثلما وقفنا من قبل على أسباب ابتلائه في أبيه وفى نفسه.. كان علينا أن نسير مع القصة

من بدايتها وذلك منذ أن خرج مهاجرًا إلى اللَّه ومصطحبًا ابنه وزوجه على راحلة قيل إنها جمل وقيل أتان (أى أنثى الحمار) متوجهًا بهما إلى أرض الحجاز حيث مكة المكرمة.. وحتى وقوع حادث الذبح فوق أحد جبال هذه المدينة المقدسة..

وكالعادة فقد تحدثت كل كتب السيرة وقصص الأنبياء عن بداية هذا الابتلاء الذي عايشه إبراهيم عليه السلام سواء فوق أرض الشام بعدما أُمر بالرحيل وزوجه وابنه، أو فوق أرض مكة التى عاش بها وملأ أرضها بركة وذرية.. وكما سبق أن ذكرنا فإن العديد من المفسرين يميلون إلى القول بأن بداية ابتلاء إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل، كانت منذ أن قرر هذا النبى الكريم أن يسافر ومعه زوجه إلى حيث أمره رب العالمين..

وينقل لنا الأستاذ أحمد بهجت صورة وصفية رائعة لرحلة إبراهيم عليه السلام وذلك قبل استقرار زوجه وابنه فوق أرض مكة.. فيقول: «استيقظ إبراهيم يومًا فأمر زوجته هاجر بأن تحمل ابنها وتستعد لرحلة طويلة، وهاجر هذه هى المرأة المصرية التى أهداها إليه ملك مصر، عندما كان في زيارة لها هو وزوجته سارة التى لم تكن تلد.. وكان زوجها الخليل إبراهيم آنذاك، قد صار عجوزًا وأبيض الشعر خلال عمر طويل أنفقه في الدعوة إلى اللَّه تعالى.. وبعد أيام بدأت رحلة إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر ومعهما ابنهما إسماعيل.. وكان طفلاً رضيعًا.. لم يفطم بعد!.. وظل إبراهيم عليه السلام يسير وسط أرض مزروعة فأتى بعدها صحراء، تجىء بعدها جبال.. حتى دخل إلى صحراء الجزيرة العربية وقصد إبراهيم واديًا ليس فيه زرع ولا تمر ولا شجر ولا طعام ولا مياه ولا شراب.

فنزل إبراهيم من فوق ظهر دابته، وأنزل زوجته وابنه وتركهما هناك، ولما سار حتى أخفاه الجبل وقف ورفع يديه الكريمتين إلى السماء وراح يدعو اللَّه ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

وكلنا يعرف بطبيعة الحال بقية القصة التى أثمرت عن وجود أمة الإسلام ودعوة نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام -، ثم قصه ماء زمزم.. هذه العين الربانية التى نبتت فوقها حضارة العرب منذ أن فجرها إسماعيل عليه السلام وحتى يومنا هذا ، حيث استجاب اللّه لدعوة نبيه إبراهيم الذى ترك فلذة كبده وسط هذه النيران المشتعلة فوق رمال الصحراء والتى تحولت على مدار الأيام والسنوات والأزمنة الطويلة إلى واحة للسلام والأمان والإيمان ، وهى الأرض المباركة التى عرفناها باسم مكة المكرمة.. والتى يوجد بها البيت الحرام.. أول بيت وضع للناس لعبادته في الأرض.

ولنا أن ننظر كيف أثمر صبر إبراهيم الخليل عليه السلام ، واستسلامه لقضاء اللّه وقدره ، هذه الثمار الطيبة التى مازلنا نتذوقها في صورة تعاليم الإسلام إلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة.. وهى التى بدأت مع تفجر أول عين ماء ، ووجود شعب ثم شعوب آمنت باللّه رب العالمين.. رب موسى وهارون وإبراهيم ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام.

لقد عاش إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر وسط بيئة طيبة ووسط قوم من الذين اهتدوا إليهما عن طريق ماء زمزم وقد أقاموا معهما.. واتخذوهما من الأهل والعشيرة.. وبعد ثلاثة عشر عامًا كما يحكى ذلك التاريخ رجع إبراهيم لرؤية ابنه الذي سره حبه لعمل الخير.. الأمر الذي شجعه كثيرًا على أن يقيم مع ابنه ومع زوجته هاجر فوق أرض مكة..

وجاء إبراهيم عليه السلام إلى حيث يقيم ولده هذه المرة لكى ينفذ أمرًا لله تعالى.. في رفع قواعد البيت الحرام الذي بناه آدم عليه السلام حين نزوله إلى الأرض لكى يعبد فيه رب العالمين. وكان ساعده الأيمن في رفع قواعد هذا البيت ابنه إسماعيل عليه السلام.

وبعد إتمام بناء هذا البيت العتيق ، ومن قبل أن يعود إبراهيم عليه السلام من حيث أتى إلى أرض فلسطين التى كانت تقيم فيها زوجه الأولى مع ابنها إسحاق.. وقع الشق الثانى من حادث الابتلاء.. حيث أمره ربه من خلال رؤيا في منامه أن يذبح ابنه إسماعيل.. وعن ذلك يقول القرآن الكريم. ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۞ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ٩٩- ١١٣]

وكما هو واضح من سياق الآيات السابقة فإن القرآن الكريم بأسلوبه الجميل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد صور لنا هذا الابتلاء في أحسن تصوير.

بل وأكثر من ذلك فقد بين القرآن الكريم النتائج المباشرة وغير المباشرة التى جناها إبراهيم عليه السلام من وراء صبره واحتسابه نفسه وولده لله سبحانه وتعالى..

ولكى نتصور معًا حجم هذه المصيبة التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام في ابنه وهو كبير في السن.. تعالوا نستمع معًا لما قاله الإمام الراحل الشيخ الشعراوى في تفسيره للآيات السابقة : « إبراهيم عليه السلام لم يبتل بالنار وحدها بل ابتلى في آخر أيامه بأن أمره الله بذبح ولده الوحيد.

والإنسان في أول حياته تكون ذاتيته هى المسيطرة على نفسه ، ولكنه في أواخر حياته تكون ذاتية أولاده فوق ذاتيته ، فقد اقتربت حياته من النهاية ولذلك فهو يريد أن يعطى أولاده كل شيء ويريد أن يحقق لهم ما لم يحققه لنفسه..

وهكذا عندما كبر إبراهيم وصار شيخًا جاءه الابتلاء الثانى بأن يذبح ولده.

ولنبين قوة هذا الابتلاء على نفس إبراهيم نقول : إن إبراهيم أصبح في سن كبيرة.. وحسب تقدير الأسباب فإنه من المشكوك فيه أن ينجب ولدًا آخر ، إذن فإسماعيل هو كل عزوة إبراهيم في الدنيا.. وإذا بالأمر يصدر من اللَّه ليس بأن يقتل إسماعيل ، فربما كان ذلك هينًا على النفس بأن يعطى إبراهيم ولده لعدد من الناس يأخذونه بعيدًا عنه ويقتلونه. لقد كان في ذلك نوع من الرحمة في القضاء ولكن اللَّه سبحانه وتعالى أمر إبراهيم بأن يأخذ ابنه ويذبحه بيده.

إنه ابتلاء كبير جاء عن طريق رؤيا لإبراهيم ورؤيا الأنبياء حق[1].

وفى نهاية تعليق الإمام الشعراوى على هذا الابتلاء قال : إن كل قضاء للَّه ولو لم نعرف له حكمة. فمن أصيب بمصيبة فما عليه إلا الرضى ، وما دامت المصيبة لا دخل لحركة الإنسان فيها ، وإنما أجراها عليه اللَّه.. فلابد أن نعلم أنه لا يوجد خالق يفسد ما خلق ، ولا صانع يفسد ما صنع.

إذن فلابد أن تكون هناك حكمة للخالق وإن لم نفهمها ، وبالتالى فطريق الخلاص من أى نائبة من النوائب هو بالرضا ، وما دام يوجد رضا حقيقى ينتهى كل شيء. ولكن الذي يحزن عندما يصاب بمصيبة فلا يرضى ويفتح باب الحزن ، ولو كنا حقيقة نعقل ونفكر لأغلقنا باب الحزن وفتحنا باب الرضا.

* * *

(١) قصص الأنبياء ، الشيخ محمد متولى الشعراوى ، جـ٧ .